ذى الامتداد الواسع واختفى عنه كل من سيارى القطب الشمالى والجنوبى مرة واحدة وغابت عنه
سيارة القطب الشمالى بالكلية وما بقى على ملاحى الاوروباويين فى هذه الحالة الا ان يسيروا بشوكة
الارواح ميل فى وسط اباد مياه لا يرون فوق سطحها شىء سوى بحر وجو فاسعفهم هبوب الرياح
الشمالية والنسمات الظريفة حتى قطعوا هذه المسافة الطويلة ومن بعد مضى ثلاثة وعشرين يوما
شاهدوا على منظر بعيد سواحل شاهقة فقال لهم الرئيس اما هذا هو ساحل الهند فما وصلوا
فى سفرهم هذه الى قريب مدينة كاليكوت بل تغير مجرى سيرهم ووصلوا فى ظرف اربعة ايام الى
موقع وصفه دوجم انه مدينة واسعة ممتدة فى طول الشاطئ ومن وراءها سهل خصب ظريف ينتهى
على مسافة بعيدة من المدينة بسلسلة جبال شامخة وفى هذا الوقت بلغ دوجم فى سياحته الخطرة
الطويلة وفيما كان عليه البرتقاليون من حب الطمع والشهرة فى اجراهم مشروعات الاستكشافات
البحرية الغاية والنهاية فى المقصود وصار دوجم على سواحل الهندوستان فاثنى دوجم وضباطه
وبحريته الثنا الجميل على خالق الارض والسماء الذى اوصلهم لا بلوغ امالهم فى اسفارهم وصاحوا
باصوات الفرح والسرور والتهانى وحمدوا الله الذى اوصلهم الى هذا الفخر الجليل ومن بعد ان استقبل
دوجم على ساحل الهندوستان عزم على اتخاذ الطرق والوسائط اللازمة فى فتح مخابرة مع ديوان
كاليكوت من اجل يسر والحصول على رخصة مقابلته او منحه امتيازا يمكن بها لاهل بلاده الدخول فى
معاملات تجارية على هذا الساحل الغنى الثروة والايراد وكان المسلمون قبل ذلك اقاموا ممالكهم
وشيدوا دعائم سلطنتهم تحت سلطنة نظام خان المعروف باسكندر اللودى فوق السهول الشمالية
من الهندوستان الا ان الجهة الجنوبية منها بحيث جزيرة الهند وحتى نفس الدكن مازالت كانت
فى حوزة عدة ملوك من الوطنيين على درجات مختلفة فى القوة والشوكة ومن بين هؤلاء الملوك
كان موجودا على ساحل الملبار ملك عالى السمو والرفعة مقيم فى كاليكوت ملقب بلقب الزاموورين
ومعناه ملك الملوك وكان هندو مشركا فى ديانته الا انه كان سمحا فى ذاته وصفاته ومبين و
مراسى مملكته مفتوحة لكل دين وكل مذهب كانت عليه التجار فى اقطار المسكونة وكانت الدنيا التجارية
محصورة فى ذلك الوقت الموجودة فى الهند محصورة فى مسلمين من البلاد المصرية والعربية وهؤلاء
بسبب ما كانوا عليه من السطوة وكثرة العدد حازوا درجات كبيرة جعلتهم فى اقامتهم فى كاليكوت
اشد فى العنف والخطر على اعداءهم فتزعج دوجم مع غاية الاحترازات الواجبة عليه وارسل رئيسه الى البر
فلاقى الرئيس اشد الخطر فى هذه الرسالة الصعبة ووقعت الدهشة الكبرى عند اهوال من التقى (?)
طول النهار وطول الليل من دون ان يصل الى دوجم خبر الرئيس الذى ارسله ولما وقفت مراكب
البرتقاليين راى المسلمون وتجار اهل ان البرتقاليين ذا ملعونون معادى ثم وصل قارب الى
ال... من طرف دوجم فيه مندوبان وواحد ثالث فقال المبعوثان انه عند نزولهم من القارب
الى البر احاط بهم ازدحام كبير من الناس واستغربوا من رؤيتهم ملاحى الاوروباويين واجتهدوا
فى كونهم يتحققوا من اى المخلوقات هؤلاء والتقوا فى هذا الصعب مع واحد من المسلمين يدعون نفسه
مونزايد قال انه كان فى الاصل من تونس الغرب وجاء هنا وكان له معرفة تامة بالبرتقاليين
وكان فى الاصل على دين النصرانية فدعاهم الى منزله واكرمهم بافخر الماكولات والعسل ولما عرف
الغرض من رسالتهم عرفهم بعزمه على شغله معهم بغاية المحبة والصداقة وفى اثنا مشيه معهم اعتق
عليهم بالشفاعة مع الحنفية وصحبهم الى السفن ولما دخل فى السفينة قدم احتراماته مع الحرية التامة لدوجم
واهل بحضوره ورحب به وبوصوله الى ارض بلاد يجد فيها المقادير الوافرة من اللؤلؤ والياقوت
والزمرد وكافة انواع البهارات والعقاقير والاطياب والتحايف الاخرى الغالية وقال ان الملك
موجود فى هذا الوقت فى بنانه وهى مدينة صغيرة على مسافة خمس فراسخ واشار على الاميرال
انه يرسل من طرفه رسولا الى الملك فى طلب رخصة للنزول الى البر والاستقبال بالتجارة فارسل
دوجم اثنان من رجاله مع مونزايد وتوصلا بواسطته الى الملك فاستقبلهما احسن استقبال و
سألهما من اى الجهات هم جاءوا وعن كيفية سفرهم ورحب بحضورهم فلما وقف الى مملكته وامرهم
بتدوير سفنهم ودخولها فى مينا بندر آخر بما انها امن واحفظ لهم من مينة كاليكوت بسبب ان
مينة كاليكوت مكشوفة وبما ان هذا الامر جاء موافقا لاغراض واراء دوجم بالنظر للذين الموجودين
حصل عنده ونا قد واعتنا من الملك وسمح لرئيسه من دونا تردد على التوجه بالسفن الى مينة بندرانى
وكان مرغوب الرئيس التجول فى داخل المينة فما قبل دوجم رايه ثم وورد اليه فى هذه المينة بلاغ من

من ديوان الملك يطلب منه انه حكمه زيارة الملك وانه معين لتوصيله الى ديوانه الكوتوال او
حاكم المينة ولما رغب دوجم فى قضاء الزيارة اشار عليه كبار رجاله معترضين بالتانى والصبر وما قبل
ان يوقع نفسه فى شوكة ملك غير معروف عنده محيط بالاعداء فاجابهم دوجم انه لا يمكنه ان يخل
بوفاء واجبات مملكته وارضه ويختار سلامة نفسه عليها وتركهم وما هم فيه وسار مع اثنتى عشرة نفسا من
رجاله مع الكوتوال واجتهد دوجم فى اول نزوله هذا على ساحل الهند فى كونه اظهر نفسه فى جلالة و
ابهة كبيرة ولبس ملابسه احسن ملبوس وحركة منظومة ورتب الطبول والزماجير تصدح امامهم وجلسه
هو فى هودج محمول على اعناق اربعة من الرجال فاسرعوا به فى سيرهم حتى تركوا وراءهم اصحابه وحشمه
الماشيين على اقدامهم ومن ثم وجد نفسه مع العجلة فى قبضة الهنود وشوكتهم بالتمام الا انهم ما وقع
منهم ما يخل بشروط المروة والانسانية فى اثناء سفره فى هذه العايلة العظيمة وعند وصل
الحاملون شاطئ نهر انتظروا باقى الجماعة وعبروا فى معديتين من النهر فرأى البرتقاليون امامهم باجودة
مفتخرة بعدد من النحاس فدعى الهنود البرتقاليين للنزول فيها فظنوا ان هذا لا بد وان يكون معبد
من المعابد المسيحية لان القسس النصف عرايا لابسين فى رقابهم سبح كسبح القسس الرومانية ورشوا
عليهم المياه المقدسة واهدوهم مسحوقا خشب الصندل مثل فعل الرومان الكاثوليك بالرماد ولما دخل
هؤلاء الاوروباويون فى ايوان الباجودة الكبير راوا حيطانه مستورة بالتماثيل فظنوا ان هذه
صور اولياء فسجدوا الى على الارض ثم ان شخصا من البرتقاليين اسمه ... دولوسالا نظر الى رؤيت
هذه التماثيل القبيحة الصورة والشكل فوجد بعضها له اربعة او خمسة اذرع واسنان مهولة خارجة
من افواهها فقال ان كان هؤلاء شياطين فان الذى انا اعبده هو الله حقا فضحك اصحابه
من قوله وخرجوا من الباجوده وما زالوا فى سيرهم حتى وصلوا كاليكوت وكان الزاموورين غائب
البلاد فى وقت وصولهم اليها فانضم الى البرتقاليين عدة من اصحاب الكوتوال واخرين من الاشراف
وما فتئوا عليهم حتى اوصلوهم الى سراية الملك فى ابهة كبيرة والطبول تصدح امامهم وكان المحل
الملوكى مبنى من الطين الا انه كان كبير السعة وموجود فى وسط بستان واراضى منزهة فلما ناظرين
واستقبلهم على باب سراية الملك رجل عجوز اختيار محترم الهيئة والذات وكان هو رأس البراهمة
ولباسه نظيف ابيض فاخذ بيد دوجم وسار به من ايوانات كبيرة الى ان وصل به الى قاعة الاستقبال
وكان الملك جالس فيها فى هيئة كبيرة وابهة جليلة مثل الهيئات التى كانت عليها ملوك الشرق وعوائده
ووسائده مفروشة على مصطبة عالية فوق ارض قاعة الاستقبال وملبوسه من قماش القطن الناعم
الظريف وعمامته من الحرير وهذه جميعها مزينة بسجافات وخيطان من الذهب ومعلق فى اذنيه
حلقان مرصعة بانفس الالماس واجله ومستور سيقانه العريانة وذراعيه باساور من ذهب محلاة
بالجواهر النفيسة وفى احد جهتيه رجل اختيار فى يديه طبق من ذهب عليه ورق التنبول والفوفل
وهى المدغة المستعملة عند الامم الشرقية فلما تقدم البرتقاليون امام هذا الملك الذى رفع راسه
فقط من فوق مخدة مزركشة كانه واصفا عليهم راسه واشار الى واحد من حواشيه بان يجلس دوجم
على درجة من الدرجات الموصلة لتخته وتلقى الاوراق التى كانت معه مع غاية التبجيل ووعده بالفحص
عنها وقراءتها عند سنوح الفرصة وفى وقت القضا وامر للاميرال بانه يأخذ راحته وعين له محلا مخصوصا
يطمئن فيه من دون ان يقع له ادنى خلل او فزع من اعداء المسلمين وكان الاميرال يؤمل المقابلة
مع الزاموورين فى اليوم التالى فانه الاخبار بانه يجب عليه انتظار ما صدر به اوامر الملك وان
يكون معه بلغة اللائقة بالملك مصحوبة بهدية مقام مناسب لمقام الملك سيده واهيئة ما مورية
فاستيقظ دوجم وافاق من نومه وعرف ان كل شئ فى الشرق يبتدى وينتهى بهدايا وما كان تحت يده
شئ من الملابس الملوكية او الجواهر النفيسة فانتخب مما فى مخازن سفنه بعض مواد ولوازم ليست موافقة
فى صفة هدية وهى بعض اقمشة قرمزية اللون وست برانيط وبعض حزوز من الحرير والنحاس
والعقيق مع قليل من العسل والسكر فلما نظر الكوتوال واصحابه هذه الهدية ما تمالكوا انفسهم من
الضحك والسخرية وقال الكوتوال ان هذا شئ لا يمكن تقديمه الى ملك كبير قوى الشوكة مثل سيده
مثل هذا الملك الجليل فضلا عن ان احقر وافقر التجار الذين يدخلون فى المينة يستحوا ان يقدموا
مثل هذه الهدية الحقيرة الى الملك الكبير زاموورين ورأى الكوتوال واصحابه ان الاصوب والاحسن
عدم تقديم شئ بالكلية ولا الفضيحة والعار من تقديم هذا الشئ الزهيد القيمة واما دوجم فانه
من بعد ما قدح فكرته فى هذه المادة راى انه من الحزم والعقل والاوفق ارسال الهدية مهما كانت

Copyright © King Saud University